﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١﴾ [طه: 60 - 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

على قدر الطُّغيانِ تكون شدَّة الموعظة

في هاتين الآيتينِ استكمالٌ لبيان كيفيَّاتِ انفعالِ فرعونَ بعد جواب موسى عليه بتعيين الموعدِ، وما كان من مقالِ موسى ﷺ لهم بعد إنفاذِ تدابيرهم وحضور موعدهم، مُحذِّرًا لهم ومُذكِّرًا بألَّا يرتكبوا إخلالًا بالمناظرة أو احتيالًا، لتقعَ الأمورُ مواقعَها المستقيمةَ، كما ينبغي لها أن تقعَ وتحصلَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: (ولي) أَصْلٌ يَدُلُّ على قُرْبٍ، مِنْ ذلك الوَلْيُ: القُرْبُ، يُقالُ: تَباعَدَ بَعْدَ ولْيٍ، أَي: قُرْبٍ، وجَلَسَ مِمَّا يَليني، أَي: يُقارِبُني[1]، والتَّولّي قد يكونُ بالجسم، وقد يكونُ بترك الإصغاء والائتمارِ[2]، يُقال: قَدْ ولَّى الشَّيءُ، وتَولَّى؛ إذا انصرف هارِبًا ومُدْبرًا، وتَولَّى عنهُ؛ إذا أَعْرَضَ، والتَّولّي يَكونُ بمَعْنَى الإعْراضِ، ويَكونُ بمَعْنَى الاتِّباع[3]، فإذا عُدّي بنفسِه؛ اقتَضَى معنى الولايَةِ، وحُصولِه في أَقْرَبِ المواضِع، وإذا عُدّي بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا؛ اقتَضَى معنَى الإعراضِ وتَرْكِ قُربه، فمِنَ الأوَّل قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: 51]، ومِنَ الثَّاني قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٣﴾ [آل عمران: 63]، والمُرادُ بالتَّولي في الآيةِ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي).
(2) الراغب، المفردات: (ولي).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ولي).

الانْصِرافُ، وهو هُنا مُسْتَعْملٌ في حَقيقَتِه، أَي: انْصَرَفَ عن ذَلِكَ المَجْلِسِ إِلَى حَيْثُ يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَى المَدائِنِ لجَمعِ مَنْ عُرِفوا بعِلْمِ السِّحْرِ[1].

2) ﴿كَيْدَهُۥ﴾: (كيد) أَصْلٌ يَدُلُّ على مُعالَجَةٍ لِشَيْءٍ بشِدَّةٍ، قالَ أهلُ اللُّغَةِ: الكَيْدُ: المُعالَجَةُ، قالوا: وكُلُّ شَيْءٍ تُعالِجُهُ؛ فأَنْتَ تَكيدُهُ[2]، ويَقولونَ: هو يَكيدُ بنَفْسِه، أَي: يَجودُ بها، كأَنَّهُ يُعالِجُها لتَخْرُجَ، والكَيْدُ: صياحُ الغُرابِ بجَهْدٍ[3]، هذا هو الأَصْلُ في البابِ، ثُمَّ يُسَمّونَ المكْرَ كَيْدًا، قال اللّه تعالَى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطور: 42]، والكَيْد أيضًا: مصدرُ كاده كَيْدًا وكِدْتُهُ في معنى أردته، وكاد يفعل ويكاد، وهَذا بمَعْنى قَرُبَ[4]، والمُرادُ بالكَيْدِ في الآيةِ: إِخْفاءُ ما به الضُّرُّ إِلَى وقْتِ فِعْلِه، أَمَّا المقصودُ بجَمعِ الكَيْدِ؛ فتَدْبيرُ أُسْلوبِ مُناظَرَةِ موسَى، وإِعْدادُ الحيَلِ لإِظْهارِ غَلَبَةِ السَّحَرَةِ عليْه، وإِقْناعِ الحاضِرينَ بأَنَّ موسَى لَيْسَ على شَيْءٍ[5].

3) ﴿لَا تَفْتَرُواْ﴾: أصلُ الفَرْيِ: القَطْعُ والشَّقُّ، والإِفْراءُ للإِفساد، والافْتِراءُ فيهما، وفي الإِفساد أكثر[6]، والفِرْيَةُ: الكَذِبُ، فرَى كَذِبًا فرْيًا، وافْتَراهُ: اخْتَلَقَهُ، وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: 38]، أَي: اخْتَلَقَهُ[7]، قال السَّجستاني: "الافتراءُ: العَظيم من الكَذِب، يُقال لمن عمل عملًا، فبالغ فيه: إِنَّه ليفري الفري، يَعْني: ليقطع الأَمر العجيب"[8]، والمُرادُ بالافتراءِ في الآية: اخْتِلاقُ الكَذِبِ، والافْتِراءُ الَّذي عَناهُ موسَى عليه السلام هو ما يُخَيِّلونَهُ للنَّاسِ مِنَ الشَّعْوذَةِ[9].

4) ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: (سحت) أَصْلٌ صَحيحٌ مُنْقاسٌ، القِشرُ الذي يُستأصَلُ، يُقالُ: سُحِتَ الشَّيْءُ؛ إِذا اسْتُؤْصِلَ، وأُسْحِتَ، يُقالُ: سَحَتَ اللّه الكافِرَ بعَذابٍ؛ إِذا اسْتَأْصَلَهُ[10]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 102، و16/ 247.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (كيد).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كيد).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كيد).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 247.
(6) الراغب، المفردات: (فرى).
(7) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (فرى).
(8) السجستاني، غريب القرآن، ص: 103.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 249.
(10) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سحت).

والسُّحْتُ: العَذابُ، قالَ اللَّيث: وسَحَتْناهم: بلغنا مجهودَهم في المَشَقَّة عليْهم، وأَسْحَتْناهم لُغَةٌ، ومنه: أَسْحَتَ الحالِقُ شَعَرَهُ؛ إذا استأصلَهُ، وأسْحَتَ الخاتِنُ في خِتان الصَّبي؛ إذا استأصله، وكَذَلِكَ أَغْدَفَهُ[1]، ومِنَ البابِ: المالُ السُّحْتُ: كُلُّ حَرام يَلْزَمُ آكِلَهُ العارُ، وسُمِّيَ سُحْتًا؛ لِأَنَّهُ لا بَقاءَ لَهُ، وعليه فالمُرادُ بالسُّحتِ في الآية: الاستئصالُ، أي: يستأصلُكم، ويهلككم بعذابٍ شديدٍ[2].

5) ﴿خَابَ﴾: (خيب) أَصْلٌ يَدُلُّ على عَدَمِ فائِدَةٍ وحِرْمانٍ، والأَصْلُ قَوْلُهُم لِلْقِدْحِ الَّذي لا يوري: هو خَيَّابٌ، ثُمَّ قالوا: سَعَى في أَمرٍ، فخابَ، وذَلِكَ إذا حُرِمَ؛ فلَم يُفِدْ خَيْرًا[3]، فالخَيْبَةُ: حِرْمانُ الجِدَةِ، خابَ يَخيبُ خَيْبَةً: حُرِمَ، ولَم يَنَلْ ما طَلَبَ[4]، وخَيَّبَه اللّه: حَرَمَهُ[5]، والمُرادُ بالخيبةِ في الآية: انقطاعُ الأمل في الحصول على الشَّيء[6].

6) ﴿افْتَرَىٰ﴾: أَصْلُ الكلمةِ مِنَ الفَرْيِ وهو: القَطْعُ والشَّقُّ، يُقالُ: أَفْرَى الذِّئْبُ بَطْنَ الشَّاةِ يُفْري فرْيًا، أي: شَقَّهُ، ومِنْهُ الفِراءُ، وهو الجِلْدُ؛ لِأَنَّهُ يُقْطَعُ، ويَأْتي الفَرْيُ بمَعْنَى الصُّنْعِ والاخْتِلاقِ، وسُمِّيَ الكَذِبُ فِرْيَةً وافْتِراءً؛ لِأَنَّ المفتَري يَقْتَطِعُ الكَلامَ اِقْتِطاعًا مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِه[7]، والافتراء: الكَذِبُ، والجَمعُ: فِرًى، يُقالُ: افْتَرَى يَفْتَري افْتِراءً، أيْ: كَذَبَ، وقيلَ: الاِفْتِراءُ: الكَذِبُ العَظيمُ، وقيلَ: الكَذِبُ المتَعَلِّقُ بالأَعْراضِ، ويَأْتي الافْتِراءُ بمَعْنَى: البُهْتانِ والظُّلْمِ[8]، والمرادُ بالافتراءِ في الآية: الكذبُ على اللّه تعالى[9].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

قال موسى للسَّحَرةِ: ويلَكم، لا تختلقوا الكذبَ على اللّه ولا تتقوَّلوه عليه، بأن تدَّعوا أنَّ الآياتِ الَّتي ستظهرُ على يديَّ سحرٌ، كما فعَل فرعونُ، فيستأصلُكم اللّه بعذابٍ من عنده، ولا يُبقي منكم، ولا يذر، وقد خابَ، وخسرَ كلُّ من قال على اللّه تعالى قولًا باطلًا لا حقيقة

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (سحت).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 16/ 123.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خيب).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خيب).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (خيب).
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 2/ 255.
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (فري).
(8) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية: 449، وابن منظور، لسان العرب: (فري).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 250.

له، وفرعون أوَّلُ المُبطلين المفترين الخاسرين، فاحذروا أن تسيروا في ركابِه، أو أن تطيعوا لهُ أمرًا[1].

عِظَمُ الافتراءِ يترتَّبُ عليه هَلاكُ الاستئصالِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ جملة: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ ممَّا قبلَه:

سرعةُ الاستجهازِ في إنفاذ المواعيدِ

الفاءُ في جملة ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ للتفريعِ، لترتيب ما بعدها على قبلَها، فالتوليةُ وجمع الكيد مترتِّبٌ على تعيين موسى ﷺ للموعد[2]، ويصحُّ أن تكونَ فصيحةً عاطفةً مدخولها على محذوفٍ مقدَّرٍ، أي: (فأقَرَّ موعدَ موسى، فتولى)، والفاء تدلُّ على التعقيب وسرعة الاستجهاز في تنفيذ إجراءاتِ الموعدِ.

سرُّ ورود الفعل ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ ماضيًا:

الشُّروع في التَّخطيط لا يكون إلَّا عن موافقةٍ واقتناعٍ

ورودُ الفعل ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ ماضيًا، دالٌّ على تمام اقتناعِه بإجابة موسى عليه؛ لأنَّ حصولَ انصرافِه من مجلس المشاورة إلى تدبير إجراء المناظَرةِ لا يكونُ إلَّا عن موافقةٍ واقتناع.

نكتةُ إظهارِ الفاعل ﴿فِرْعَوْنُ﴾:

صاحبُ الحقِّ واثِقٌ في أناة

أظهرَ الفاعل في قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾، ولم يقل: (فتولى، فجمع كيده)؛ لاحتمال الالتباس في الفاعل عندَ الإضمارِ، أهو موسى أم فرعون؟ فصرَّحَ بفاعل التولي والكيد لدفع الالتباسِ فيه، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المحِقَّ لا يتكلَّف في استعداده، ولا يُعالِج الكيْدَ والعنَت؛ لأنَّ الحقَّ ظاهرٌ بأيسر سبيلٍ، لا حرج فيه، وأمَّا المبطِلُ؛ فلا يُنجِح باطلُهُ إلَّا بالكيد والمراوغة والتكلُّف في إخفاء الزَّيف لئلَّا يفتضِحَ.

دلالةُ العطفِ بالفاء في: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾:

المبطِلون كائدون

جملةُ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾؛ للدلالةِ على

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 93، والمراغي، تفسير المراغي: 16/ 124، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 121.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 247.

التعقيب بينهما، أي: فتولّى منصرفًا، فأسرعَ في استجماع كيدِه وإعداد خُطَّتِه[1].

دلالةُ قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾:

الضعيفُ القَلِقُ مُستَخْفٍ بخُطَّتِه

قولُهُ: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ إشارةٌ إلى التَّدبير الخفيِّ، وهو ليس دليلَ قوَّةٍ، بل هو دليلُ ضَعْفٍ، بحسب ما توجَّه سابقًا في موقع جملة: ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ و﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ ممَّا قبلها.

سرُّ اختيارِ لفظ ﴿كَيْدَهُۥ﴾ وإسنادُهُ إلى الضَّمير:

الكيدُ يدلُّ على الحيلةِ المُحكَمَةِ

اختيارُ لفظِ الكيدِ وإسنادُهُ إلى ضمير فرعونَ يتناسبُ مع ما كان فرعونُ يحضِّرُهُ من السِّحر، فالكيدُ يدلُّ على إحكام الاحتيالِ في تحضير الخُطَّةِ، ومبدأُ السِّحر قائمٌ على التَّمويه والخداع الحاصل بالكَيْدِ.

بلاغةُ مجازِ الحذفِ:

الاتِّساعُ الدَّلاليُّ في إيجاز الحذف

يحتملُ أن يكونَ التَّركيبُ في قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ جاريًا على حذف المضافِ، على تقدير: (فجمع أهلَ كيدِه)، وهم السَّحرةُ، ثم جاء بهم إلى الموعدِ، وهذا يؤيِّده قولُهُ تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الشعراء: 38][2]، ولا يخفى من تقدير الحذفِ هنا من الاتساع في الدَّلالة بإظهار أنَّ هذا الكيدَ كان عظيمًا، فكأنَّه أخبر عن كَيْدَيْن: كَيْدِ فرعونَ في نفسِه، وكيدِ فرعونَ في سَحَرَتِه.

نكتةُ العطفِ بـ﴿ثُمَّ﴾:

التراخي الزَّمنيُّ بين الموعد وإجرائه

العطفُ بـ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾؛ للدَّلالة على التَّراخي الزمني بين التحضير للفَعاليَّات وإتيان الموعد، فيستغرق وقتًا طويلًا نسبيًّا بينهما.

دلالةُ ﴿ثُمَّ﴾ على المهلة الحقيقيَّةِ والرُّتبيَّةِ:

وقوع الكيد يسبقه التحضير له

كما تدلُّ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ على التراخي الوقتي في المُهلة الزمنيَّة بين التحضير للموعدِ وإتيانه، وتدلُّ أيضًا على التراخي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 247.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 248.

الرُّتبي؛ لأنَّ إيقاع المكيدة على الوجه المقصود سابق من خلال استجماع تراتيب المكيدة؛ ولا يظهر أثرُ ما أعدَّه إلا باستجماع تلك التراتيب الكيدية[1].

سرُّ إيثارِ الإضمارِ على الإظهار:

تحقير شأن الكائد مهما تعالى في كيده

إيثارُ الإضمارِ على الإظهار في فاعل ﴿أَتَىٰ﴾، ولم يقل: (فأتى فرعون)؛ لأغراضٍ؛ منها: الاكتفاء بإظهاره الأوَّل في قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾، فكان الإضمارُ أنسبَ للإيجاز، ولوضوحه وعدمِ التباسه، ولاستطالة التقديرِ عند الإظهار؛ لأنَّهُ على معنى: (فأتى فرعونُ بجندِه)، أو (أتى بأهل كيده)، وهذا إطنابٌ لا حاجة إليه، فاستُغني بالإضمارِ عنهُ.

موقعُ جملة ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ ممَّا قبلَه:

مُبادرة المهمِّ بالسّوء أن يكفَّ عن ارتكابه

جملة: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ قوله: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ يثير سؤالًا في نفس السامع أن يقول: فماذا حصلَ حين أتى فرعون ميقاتَ الموعدِ؟ فأجيب بأنَّ موسى أراد مُفاتَحة السَّحرة بالموعظة، وهو جملةُ حكاية القَوْلِ والمَقول: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾[2].

مفسِّرُ الضَّمير في قوله: ﴿لَهُم﴾:

المُقرُّ الرَّاضي كالمُباشِر الفاعل

الضميرُ في قوله: ﴿قَالَ لَهُم﴾ عائدٌ على السَّحرة، وهو مفهومٌ بالقرائن السّياقيَّة الماضية، وبقرينةِ أنَّ قولَ موسى واقعٌ عند انعقاد المناظرة، فلا يتَّجهُ بالقول والخطاب إلَّا إلى نظيرِه فيها، وهم السَّحرةُ، ويحتمل أن يكونَ الضَّميرُ للحاضرين جميعًا: فرعونَ وحاشيته والسحرةِ والشَّعبِ، ويكون المرادُ موعظةَ الجميع، لئلَّا يقعَ منهم إقرارٌ على كيْدٍ أو خداعٍ يصدر عن السحرةِ؛ لأنَّ المُقِرَّ في حكم المباشِر.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 248.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 248.

سرُّ تقديمِ شبه الجملة على الفاعل:

التَّذكيرُ بقانونِ المناظرةِ قبلَ إيقاعِها

تقديمُ شبه الجملةِ على الفاعل في قوله: ﴿قَالَ لَهُم﴾؛ لاختصاصِهم بالقول وقصره عليهم اهتمامًا وحرصًا منه ﷺ أنْ يُفرِغَ وسعَهُ في تذكيرهم بما يجبُ عليهم في التزام أدبِ المناظرةِ من الوضوح وعدم التَّلبيس.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دون سواه:

الأنبياءُ رُحَماءُ بخصومِهم

التَّعبيرُ بلفظِ الويل في مُستهلِّ قوْلِه لهم يدلُّ على خطابٍ من مُسْتَعلٍ بالحقِّ يُشفِق على خصومه، فيتَخَشَّنُ معهم بما يقتضيه حالهُم من ظهور الزَّيغِ عليهم وانتوائِهم المؤامرةَ، ومعنى ﴿وَيْلَكُمْ﴾: هلاكٌ لكم، وهي جملة اعتراضيَّةٌ دعائيَّةٌ[1] بين القولِ ومقوله، وليس الغرضُ الدُّعاءَ عليهم ابتداءً، فإنَّهم لم يستوفوا ما يوجبُ الدُّعاء عليهم بعدُ، بل المرادُ استنباهُهم بأبلغ ما يكون من العبارةِ بما يضمنُ معهُ أن ينصتوا لموعظته وتحذيره، ولذا صدَّر به مقول القول، وهو من براعة الاستهلالِ في النصيحة، وسرُّ الإتيان بعبارة الويل - خاصَّةً - حصولُ الإغراب الذي يقرع الأسماعَ، فلا يفوِّت أحدٌ منهم الانتباهَ إلى خطابه، وإظهارُ ثقة النبوَّةِ وعزَّتها، وتعليقُ الدُّعاء بشرطه من المخالفة؛ إنْ هم افتروا وكذبوا، فالويلُ إنذارٌ بسوء العاقبة لئلَّا يقترفوا أسبابَها، وتصديرُ جملةِ النَّهي به؛ لأنَّهم على شَفا التلبُّس بما سينهاهم عنه.

سرُّ إضافةِ ضميرهم إلى لفظ (الويل):

إيقاعُ الإنذارِ بإشفاقٍ ومَرحمة

لم يقل في السياق الكريم: (ويلٌ لكم) على المبتدأ والخبر، بل أسندَ الويلَ إليهم بطريق الإضافةِ؛ لأنَّ الإضافةَ تحصلُ بأدنى ملابسة، فلا يلزم منها تحقيقُ نسبتهم إلى الويل، أمَّا (ويل لكم)؛ فهو تحقيقُ لحوقِهم بالويل، وهذا يُؤكِّد أنَّ موسى ﷺ كان قاصدًا لنصحِهم لا

(1) صافي، الجدول: 16/ 384.

للدُّعاء عليهم، فالمقامُ مقامُ إنذار بإشفاقٍ ومرحمة، وأيضًا كيف يتحقَّقُ الويل لهم، وهم ما زالوا بصددِ التَّحذير من موجِبه.

سرُّ تقديمِ شبه الجملة على المفعول:

الافـتراء حـرامٌ كلُّهُ

تقديمُ شبه الجملةِ على المفعولِ في قوله: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ للاختصاص والاهتمام، وتعظيم الله سبحانه، فيتعظَّمُ الافتراءُ عليه، ولتحريم الافتراء في أصله على جميع أوجهه، سواءٌ أكان القصد منه كذبًا أم غيره، فالافتراء على الله أيًّا كان نوعُهُ هو منهيٌّ عنه، ولذا أُخِّرَ المفعول.

موقعُ جملة ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ مما قبلَه:

ارتـكـابُ النَّهي مـؤذنٌ بـترتُّـب الوعيد

الفاءُ في قوله: ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ﴾ سببيَّةٌ واقعةٌ في جواب طلبٍ محضٍ، وهو النَّهيُ عنِ الافتراء، فجملةُ الوعيد بالعذاب مسبَّبةٌ عن ارتكاب النهي[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بفعل السُّحت:

الـدلالـة على الـنَّـزع الـتـامِّ والانسلاخ العام

عبَّر بفعل السُّحتِ في قوله: ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ﴾؛ لأنَّ أصلَ هذه المادةِ يدلُّ على الاستقصاء والنفاد، ومنه سحتَ الحالقُ الشَّعرَ الذي استقصاه، فلم يترك منه شيئًا، ويُستعمل في الإهلاك والإذهاب[2]، فيدلُّ على الاستئصالِ وانقطاع الأثر، وهو كنايةٌ عن المبالغةِ في الإهلاك.

بلاغةُ ردِّ العجز على الصَّدر:

اجتماعُ الجناسِ والتصديرِ

في قوله: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ﴾ مع قوله في ختام الفاصلة: ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ ما يسمّى بأسلوب التصديرِ أو ردِّ العجز على الصدر، وهو من محسِّنات البديع اللفظيَّةِ، ولا يخفى ما بين ﴿تَفۡتَرُواْ﴾ و﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ من جناس الاشتقاقِ.

---

(1) درويش، إعراب القرآن: 6/ 206.

(2) السمين، الدر المصون: 8/ 61.

سرُّ الجمع بين الافتراء والكذب:

المفعولُ المطلق يؤكِّدُ الحدثَ والحدوثَ

الجمعُ بين الافتراءِ والكذبِ في قوله تعالى: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ للتَّأكيد، أي: تأكيدِ الحدثِ، وهو مصدرُ الفعل، وذلك على اعتبار أنَّ ﴿كَذِبٗا﴾ مفعولٌ مطلق؛ لأنَّ الافتراءَ في معناه، كأنَّه قيل: لا تكذبوا كذبًا، ويصحُّ أن يكونَ الافتراءُ بمعنى الاختلاق والإحداث، والكذبُ مفعولٌ به، أي: لا تختلقوا، أو لا تحدِّثوا، أو تعملوا كذبًا[1].

بلاغةُ أسلوبِ التجريد في الجمع بين الافتراءِ والكذب:

الكذبُ خلاصةُ الافتراءِ

كما جرى تركيب ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ على التأكيد في الجمع بين الافتراءِ والكذبِ، فيصحُّ إجراؤه كذلك على أسلوبٍ معنويٍّ بديعٍ يسمّى التجريد، فكأنَّه جرَّد الافتراءَ من جميع ظواهره وصورِه، ثمَّ استخرج منه الكذبَ دون سائر أفراده، كأنَّ الكذبَ هو المعدِنُ والخُلاصةُ التي ينجمِعُ الافتراءُ عليها، فذكر الافتراءَ أوَّلًا، ثمَّ جرَّد الكذبَ عنه، كأنَّه غيرُهُ، رغم أنَّه هو بعينه، للتَّنبيه على المعنى الكامنِ منه، وهو الكذبُ[2].

موقعُ جملةِ: ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ ممَّا قبلَها:

الافتراءُ يستعجِلُ الخَيْبةَ

جملةُ: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ في موضعِ الحال من ضمير ﴿لَا تَفۡتَرُواْ﴾، وهي مسوقةٌ مساقَ التعليل للنهي، أي: اجتنبوا الكذبَ على الله، فقد خاب مَنِ افترى عليه من قبلُ، ويصحُّ أن تكونَ الجملةُ اعتراضيَّةً مقرِّرة لمضمون ما قبلَها، ويصحُّ اعتبارها استئنافًا نحويًّا[3].

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ الافتراء:

الافتراءُ لا يأتي إلَّا بشَرٍّ

لم يحدِّد في السياق الكريم في قوله: ﴿خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ مجالَ

(1) صافي، الجدول: 16/ 384.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 377.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 25، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 250.

الافتراء ولا جهته، فلم يقل افترى في أيِّ شيءٍ أو على مَنِ افترى؛ لإرادة العموم، فالافتراءُ كائنًا من كان بأيِّ وجه كان، جميعُه جالِبٌ للخيبة، فكلُّ من تعمَّد كذبًا على الله أو على غيره خائبٌ، فيدخل فيه الافتراءُ المنهيُّ عنه دخولًا أوَّليًّا، أو لأنَّ المتعلَّقَ مفهوم ممَّا قبله، أي: قد خابَ فرعونُ المفتري، ومن كان على شاكلتِه، فلا تكونوا مثلَهُ في الخيبةِ[1]، وعليه: فالجملة خبريَّةٌ في معنى الإنشاءِ بالنَّهي عن محاكاةِ سبيل الخائبينَ المفترين، ولا يخفى ما في حذفِ المتعلَّقِ من مراعاةِ الفاصلةِ ألَّا تنخرمَ، وقصدِ الإيجاز.

سرُّ إيثارِ الاسم الموصول ﴿مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾:

كلُّ مُفْتَرٍ مؤاخَذٌ بما افترى

إيثارُ الاسمِ الموصول ﴿مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ لإرادة العموم، والموصول المشترك يدلُّ على حصول المؤاخذة على الافتراءِ لجميع المكلَّفين رجالًا ونساء، فكلُّ من تعمَّد الافتراءَ مؤاخَذٌ.

دلالةُ جملةِ الفاصلةِ على تزكيةِ الكليم عليه السلام:

الأنبياءُ ألزمُ الناسِ بما نصحوا به الناس

في تحذيرِ موسى عليه السلام من الافتراءِ ووعيد المفترين، إعلانٌ منه بأنَّهُ لا يتقوَّل على الله شيئًا لم يُؤمرْ بتبليغه؛ لأنَّه يعلم أنَّه يستأصلُهُ بعذابٍ، ويعلم خيبةَ مَنِ افترى على الله، ومن كان يعلم ذلك لا يقْدِم عليه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الافتراء والبهتان:

البهتانُ هو افتراءٌ مخصوصٌ بما يُدهش

الافتراءُ هو اختلاقُ ما لا حقيقةَ له[3]، وأصلُهُ من الإفراءِ، وهو قطعُ الشَّيءِ لغرض الإفساد[4]، فلوحِظَ في الافتراء كأنَّ المُفتري يقطعُ من عِرض غيره ليُفْسِدَهُ عليه بافترائه، أو لأنَّ الكَذِبَ فيه لمَّا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 304، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 25.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 250.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (فرى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرى).

وقع على غير أصلٍ وحقيقةٍ؛ صار كالجزء الفاسدِ المقطوع عن أصله، فلا إصلاحَ له، وأمَّا البهتانُ؛ فأصلُهُ يدلُّ على تحيُّرٍ واندهاش[1]، وهو كالافتراء في اختلاق الباطل وما لا أصل له، إلَّا أنَّ البهتانَ أخصُّ، فهو الافتراءُ الباطل الذي يُتَحَيَّر من بطلانه، وهو الاختلاقُ الذي يسبِّبُ ذلك الأثرَ من الاندهاش؛ لزيادة الفُحش فيه[2]، وعليه فالبهتانُ: افتراءٌ مخصوصٌ بما يُدهش.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بهت).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بهت).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»